



في إحدى وسائل الإعلام الروسي الإلكتروني طُرِح السؤال التالي في استطلاع موجه إلى القراء: هل تخشى واشنطن أن تكشف «العملية الروسية» عن وجود علاقات لها بالإرهابيين في سوريا؟!

وأشارت النتائج إلى أن أكثر من 90 في المئة من المصوتين في الاستطلاع يرون أن الأميركيين خائفون بالفعل من أن تكشف علاقتهم بالمقاتلين الخارجيين على القانون في سوريا!

نسبة المؤمنين بوجود هذه العلاقة، مقارنة بنسبة غير المؤمنين بوجودها، كبيرة جداً، وهذا مردود بالطبع - مع افتراض النزاهة في وسيلة الإعلام هذه - إلى أن الغالبية العظمى من القراء هم من المائلين إلى السياسة الخارجية الروسية والمتحمسين لها، وإنما جاءوا في الأصل للبحث عن الأخبار في وسيلة إعلام روسية! هم مع روسيا ضد أميركا قبل الاستطلاع وخلاله وبعده.

لكن سؤال الاستطلاع يثير عندي، أنا الذي لا أميل إلى هذه أو تلك وإنما أبحث عن الأخبار بصفاتها كافة، مسألتين رئيسيتين: الخشية أو الخوف الأميركي، وطبيعة الإرهاب الذي تعنيه وسيلة الإعلام الروسية في وصفها الجماعات المقاتلة في سوريا بالإرهابيين.

وسأبدأ بالمسألة الثانية المتعلقة بآلية فرز الجماعات المقاتلة في سوريا إلى جماعات إرهابية وجماعات غير إرهابية.

روسيا، التي نشرت قواتها خارج الحدود لحماية نظام سقطت شرعيته في معظم عواصم العالم، ترى أن كل من يقاتل أو يعارض «تنظيم بشار الأسد» في حدود الدولة السورية هو تجمع إرهابي خارج على القانون الممثل بحكومة دمشق الحالية. تنظيم «داعش» إرهابي، بحسب الرؤية الروسية. وتنظيم «جبهة النصرة» إرهابي. وفصائل «الجيش الحر» المسلحة بتفرعاتها كافة هي جماعات إرهابية! والمواطنون السوريون الذين كانوا يخرجون بالملايين في شوارع حمص وحماء وحلب ومدن سوريا أخرى للمطالبة بالتغيير السلمي للنظام الديكتاتوري البغيض هم كذلك إرهابيون خارجون على أخلاق ومبادئ وقيم النخبة الحاكمة! كل الجماعات في سوريا، ما خلا «تنظيم بشار الأسد»، هي جماعات إرهابية كما تعتقد روسيا وتقر، وعلى المجتمع الدولي بقيادة القيسير الجديد فلاديمير بوتين التعاون والتكافل حتى يتم القضاء عليها.

روسيا والدائرون في فلكها مؤمنون بهذا الفرز ويعملون بناء عليه، لكن العالم له رأي آخر، فكثير من الدول يرى أن «تنظيم بشار الأسد» يقف على رأس التنظيمات الإرهابية في سوريا. هو الأول في القتل والتعذيب وانتهاك المبادئ الإنسانية التي أفرتها المواثيق الدولية كافة. هو الأول، ثم تنتظم بعده الجماعات الإرهابية الأخرى في صف طويل من الخراب والدماء. وحده المواطن السوري الحر خارج القائمة.

إذًا، ومن منطلق أن الرؤية الرسمية الروسية منعكسة بالضرورة على وسائل الإعلام الروسية، فإن المقصود بالإرهاب في الاستطلاع هو كل جهد موجه لقتال أو معارضة «تنظيم بشار الأسد» في الظروف الحالية.

أما مسألة الخشية الأميركيّة فإنها تتفرع إلى أكثر من سؤال. من تخشى أميركا؟ وكيف كانت هذه العلاقة مع الجماعات الإرهابية؟ وما هو رد الفعل المتوقع من أميركا ومن المجتمع الدولي في حال اكتشاف هذه العلاقة؟

وهل تخشى أميركا من روسيا، أم تخشى من المجتمع الدولي؟

العالم كله يعرف أن أميركا تدعم بعض فصائل «الجيش الحر»، المصنف إرهابياً بحسب الموقف الروسي الرسمي، وبالتالي فإن الخشية الواردة في الاستطلاع ليست موجهة بالتأكيد إلى هذا النوع من التعامل، وإنما المقصود بها العلاقات مع التنظيمات الإرهابية الأخرى التي تتفق أميركا وروسيا في العلن على تجريمهما، مثل تنظيم «داعش» وتنظيم «جبهة النصرة».

المتعاطفون مع روسيا في قضية «تنظيم بشار الأسد» يؤمنون بأن أميركا تتعامل في السر مع التنظيمات الإرهابية في سوريا، وإن كشف هذا النوع من العلاقة فسيضرب مصالح أميركا في المنطقة، كون الدول العربية المعنية بالقضية السورية، التي مع أو ضد بشار الأسد، ترى أن خطر «داعش» أكبر بكثير من خطر وجود بشار الأسد. كما أنه سيضر بصدقائها العالمية التي تقوم على محاربة الظلم وإقامة العدل في المناطق المنكوبة في العالم.

هؤلاء المتصوتون على الاستطلاع يؤمنون بأن أميركا تخشى كشف العلاقة، وما هذا الإيمان إلا مسألة لاحقة بالضرورة بإيمانهم بتعامل أميركا مع التنظيمات. وهذا الإيمان الأخير قائِم على افتراضين رئيسيين، في تقديري: الأول أن أميركا تفعل ذلك من أجل إسقاط بشار الأسد، والثاني من أجل إطالة أمد الحرب لتحقيق المصالح الأميركيّة الكبرى.

الافتراض الأول قد يكون هو المحرك الرئيس لاستطلاع الموقع الروسي، كون معظم المتصوتين، بحكم المكان، هم مع تنظيم بشار الأسد، لكنني لا أميل إليه (تحت ظروف الاستطلاع فقط)، لأنني أعرف أن أميركا تدرك الكارثة التي يمكن أن تشمل دول المنطقة في حال السقوط المفاجئ لنظام بشار.

أما الافتراض الثاني فإنني أميل إليه (مرة أخرى... تحت ظروف الاستطلاع)، لأنني مؤمن تمام الإيمان بأن أميركا يهمها بقاء بعض الصراعات العالمية مشتعلة، لسبعين رئيسين: الأول ضمان إدارة هذه الصراعات بعيداً من الحدود الأميركيّة، فالإدارة الجيدة للصراع البعيد تضمن بقاءه بعيداً. والثاني ضمان دورة مصانع السلاح في أميركا بوتيرة متصاعدة، ما ينعكس على الحياة الاقتصاديّة هناك.

كل ما سبق تحت ظروف الاستطلاع، أما خارج ظروف الاستطلاع فإن روسيا وأميركا يهمهما معاً الوجود المتعادل خارج حدود الدولتين. تعرفان مصالحهما جيداً، وربما تتفقان عليها في السر، وهذا هو الأمر الذي تخشى الدولتان اكتشافه والكشف عنه!

الأيام المقبلة حبل بمفاجآت الدولتين الكبيرتين في مستقبل الرجل البعثي الذي أصبح نظامه «تنظيماً»!

[الحياة اللندنية](#)

المصادر: